المبحث الثالث
علاقة عماد الدين زنكي بالخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية

تسلّم عماد الدين زنكي الموصل من الأمير جاولي وأقطعه الرحبة وأعمالها [١]، ثم انصرف إلى تنظيم شؤون إمارته إداريا وعسكريا مستنداً في ذلك إلى ما كان سائداً عند السلاجقة من نظم الحكم، فولّى نصير الدين جقر قلعة الموصل، وفوَّض إليه أمر الولاية جميعها، وعيَّن الياغسياني أمير حاجب والقاضي الشهرزوري قاضي بلاده وما يفتحه من بلاده [٢]، ثم انصرف إلى العمل على تحقيق هدفين وضعهما نصب عينيه هما:

* تأسيس دولة وراثية وتوسيعها عن طريق ضّم المدن والإمارات المحلية في الجزيرة وبلاد الشام، وتوحيدها مع إمارة الموصل.

* تكوين جبهة إسلامية متماسكة تستطيع مواجهة الصليبيين وتطردهم من الشرق الإسلامي، فدخل من أجل ذلك في علاقات سياسية عسكرية مع الأمراء المحليين.

ويبدو أنه لم يتمكن من المضي قدُماً في تحقيق هدفيه في بادئ الأمر، بسبب انغماسه في أحداث العراق، مما صرفه عن ميدان بلاد الشام، إذ شهد هذا البلد آنذاك صراعاً بين الخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية من أجل الاستئثار بالنفوذ تدخل فيه عماد الدين زنكي، وانتهى بانتصار واضح لصالحه وتحديد مستقبله السياسي [٣].

أولاً: محاولة عزل عماد الدين زنكي عن الموصل:

تراوحت علاقة عماد الدين بالخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية بين التعاون المثمر والعداء الشديد وفقاً للمصلحة العامة والشخصية في الوقت نفسه، على أن هذه التقلبات لم تؤثر على مركزه في ولاية الموصل والجزيرة وبلاد الشام، فقد تعرَّض في بداية حكمه، لمحاولة استهدفت عزله عن منصبه وإحلال دُبَيس بن صدقة أمير الحلة مكانة، ذلك أن هذا الرجل كان قد التحق بخدمة السلطان سنجر، سلطان السلاجقة العظام في خراسان، وأضحى من أمرائه المقربين وحدث أن توجه محمود سلطان سلاجقة العراق إلى خراسان لتصفية المشاكل القديمة مع عمه سنجر [٤] وأثناء المباحثات التي جرت بينهما طلب سنجر من ابن أخيه محمود أن:

* يعزل عماد الدين زنكي عن الموصل والجزيرة وبلاد الشام ويوليها لدُبَيس.

* يطلب من الخليفة تحسين علاقاته به بعد المشاكل التي أثارها ضد الخلافة [٥].

---

(١) تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام ص ٨٨.
(٢) الباهر ص ٣٤.
(٣) تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام ص ٨٩.
(٤) أخبار الدولة السلجوقية للحسيني ص ٨٨ - ٩٠.
(٥) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٨/١٠ - ٩).

ويبدو أن محموداً استجاب لطلب عمه، فعندما وصل إلى بغداد في مطلع عام ٥٢٣هـ/آخر عام ١١٢٨م) سعى لدى الخليفة المسترشد بالله لتحقيق ذلك، كما طلب من عماد الدين زنكي التخلي عن منصبه وتسليمه لُدبَيس [١].

كان هذا الطلب كافياً للقضاء على آمال عماد الدين زنكي وتطلعاته السياسية، لذلك تحرك على وجه السرعة لإحباط هذا التدبير، فقدم إلى بغداد، وتمكّن بعد مباحثات طويلة من إقناع السلطان بضرورة إبقائه على ولاية الموصل لمجابهة الصليبيين، كما أكَّد طاعته وإخلاصه له فخلع عليه وجدّد له ولايته، وكتب له منشوراً جديداً بحكم الموصل والجزيرة والشام، تأكيداً لمنشور عام ٥٢١هـ [٢] وقد ساعدت عماد الدين زنكي مجموعة من العوامل على بقائه في منصبه منها ما بذله الخليفة من جهود لتثبيت زنكي على الموصل بدافع من كراهيته العميقة لدبيس، حتى أنه أرسل إلى السلطان محمود يقول له: إن دبيساً أعان الفرنجة ضد المسلمين فكيف توليه [٣] وكان دبيس قد انضم إلى الصليبيين - وهو من الطائفة الشيعية الاثنى عشرية - بعد هزيمة ٥١٧هـ وأسهم معهم في حصار حلب طمعاً بالاستيلاء عليها وحكمها نيابة عنهم.

* لم يكن أهالي بغداد أقل كراهية لدبيس وحقداً عليه من الخليفة نفسه، حتى أنهم تظاهروا ضده لدى دخوله العاصمة وراحوا ينددون به ويهتفون بالتأييد والدعاء للخليفة والسلطان [٤] بسبب محاولات دبيس المتكررة لنهب بغداد وتخريبها [٥]. فضلاً عن مساعدته للصليبيين [٦].

* ولم يكن في صالح السلطان محمود نفسه عزل زنكي عن الموصل وهو الذي وقف إلى جانبه في الظروف الحرجة، ولعله لم يقم بمحاولة العزل - أساساً - إلا تحت ضغط عمه سنجر صاحب السلطة العليا على السلاجقة، هذا فضلاً عن أن تعيين دبيساً في الموصل قد يتيح لسنجر أن يتخذ منه صنيعة ضد مصالح السلطان محمود في العراق [٧].

(١) تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام ص ٨٩.
(٢) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب (٤٠/١).
(٣) زبدة الحلب (٢٤٤/٢) عماد الدين زنكي ص ٥٠.
(٤) زبدة حلب (٢٢١/٢ - ٢٢٥).
(٥) المنتظم (١١/١٠).
(٦) عماد الدين زنكي ص ٥١.
(٧) المصدر نفسه ص ٥١.

ثانياً: صراع البيت السلجوقي على السلطنة بعد وفاة السلطان محمود:

اطمأن زنكي إلى ولايته طيلة الأعوام الأخيرة من حكم السلطان محمود وعندما توفي هذا في منتصف عام ٥٢٥هـ أرسل زنكي إلى الخليفة المسترشد يطلب منه أن يقيم الخطبة ببغداد للملك السلجوقي ألب أرسلان - وهو أحد الملكين اللذين أنيطت بزنكي مهمة الإشراف على تربيتهما، إلا أن الخليفة اعتذر عن ذلك محتجاً [١]:

١- بصغر سن ألب أرسلان وبعدم صلاحيته للحكم.

٢- بأن السلطان كان قد عهد بالسلطنة من بعده وهو بأصفهان إلى ابنة داوود.

٣- بأن حكام الولايات قد بدأوا فعلاً بإقامة الخطبة له وأضاف، بأنه لن يقدم على اتخاذ أي إجراء بهذا الصدد قبل أن تصله رسالة من السلطان سنجر زعيم السلاجقة الكبار في خراسان [٢]. وهكذا فوَّت الخليفة فرصة ذهبية على عماد الدين زنكي للاستفادة من وفاة السلطان محمود، الذي لو نجح في اغتنامها لأتاحت له مجالات جديدة في العمل السياسي، ودفعته إلى الخروج عن الولاء للسلاجقة بتنصيب أحد أمرائهم المقيم تحت إشرافه في الموصل سلطاناً على سلاجقة العراق فيصبح بذلك المتحكم الفعلي في شؤون العراق باسم السلطان الجديد [٣].

وفي العام التالي استطاع السلطان مسعود بن محمد - حاكم أذربيجان استمالة زنكي لمساعدته في المطالبة بعرض سلاجقة العراق، لقاء منحه مدينة أربل الحصينة شرقي الموصل، وتم الاتفاق بينهم على أن يتجها إلى بغداد لمطالبة الخليفة المسترشد بالخطبة لمسعود والاعتراف به سلطاناً على العراق [٤]، إلا أن سلجوق شاه بن محمد - أخو مسعود الذي كان يطمح هو الآخر بعرش السلاجقة في العراق سبق أخاه إلى بغداد، وطالب الخليفة بالخطبة له فامتنع الأخير عن تنفيذ طلبه، ولما سمع سلجوق شاه باقتراب زنكي على رأس قواته الموالية لمسعود، أمر قائده (قراجا الساقي) بالإسراع في التوجه شمالاً لإيقاف تقدمه، فوصل إلى مشارف سامراء بأقل من يومين، ودارت المعركة بين الطرفين عند قصر المعشوق على الجهة المقابلة لسامراء، وانتهت بهزيمة زنكي وأسر عدد كبير من قواته، فلجأ بمن معه من فلول إلى تكريت [٥] حيث أسرع واليها نجم الدين أيوب بإقامة المعابر لهم، وإكرام ضيافتهم لحين عودتهم إلى الموصل [٦]، وهناك استطاع زنكي أن يعيد تنظيم قواته، بعد أن أنفق عليها أموالاً كثيرة وجهزه بالمؤن والمعدات [٧].

---

(١) المصدر نفسه ص ٥١.
(٢) تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام ص ٩١.
(٣) عماد الدين زنكي ص ٥٢.
(٤) مفرج الكروب (٩٧/١) عماد الدين زنكي ص ٥٢.
(٥) المنتظم (٢٥/١٠) الباهر ص ٤٣.
(٦) الباهر ص ١١٩ - ١٢٠ عماد الدين زنكي ص ٥٢.
(٧) الباهر ص ٤٣ عماد الدين زنكي ص ٥٢.

ثالثاً: موقف السلطان سنجر من الأحداث:

كان السلطان سنجر يراقب تطورات الأحداث السياسية في العراق، بهدف انتهاز فرصة للتدخل والهيمنة على مقدرات الأمور وإخضاع سلاجقة العراق لإشرافه المباشر. وحتى يدعم موقفه، رأى أن يستقطب كلاً من عماد الدين زنكي ودُبيس بن صدقة، فطلب منهما التوجه إلى بغداد والاستيلاء عليها وإقامة الخطبة فيها له ولخليفته الملك طغرل بن محمد بن محمود، وتعهد بإضافة شحنكية بغداد إلى عماد الدين زنكي، وبإقطاع الحلة لدُبَيس [١] فوافق عماد الدين زنكي على هذا العرض لاعتقاده بأن النصر سيكون حليف سنجر، وبذا يستطيع أن يحقق مزيداً من مطامعه أدرك كل من مسعود وسلجوقشاه أن الصراع بينهما سوف يتيح الفرصة لتدخل عمهما سنجر ويقضي على مصالحهما في العراق فعقد صلحاً بينهما ووحَّدا قواتهما للوقوف في وجهه، لكن سنجر انتصر على جيوشهما، وأجلس طغرل بن محمد على عرش سلاجقة العراق في شهر جمادي الآخرة عام ٥٢٦هـ/ شهر نيسان عام ١١٣٢ [٢]. في هذه الأثناء كان عماد الدين زنكي ودُبيس قد اقتربا من بغداد، واشتبكاً مع قوات الخليفة في (أواخر شهر رجب/ شهر آيار) وحلَّت بهما الهزيمة، فتراجع عماد الدين زنكي إلى الموصل، وقام دُبيَس بمحاولة فاشلة لاستعادة الحلة [٣] واستطاع مسعود، بعد سلسلة من الحروب، أن يقضي على منافسيه ويجلس على عرش سلاجقة العراق بموافقة سنجر في شهر صفر عام ٥٢٧هـ/شهر كانون الأول عام ١١٣٢م.

– **نتائج تلك الحروب**: كان للحروب التي حدثت بين السلاجقة فيما بينهم من جهة، ثم فيما بينهم وبين الخلافة العباسية من جهة أخرى، واشتراك عماد الدين زنكي فيها نتائج هامة على وضعه السياسي والعسكري منها:

١- أنه خسر علاقته الودية بالسلطنة السلجوقية التي استفاد منها في أيام السلطان محمود، إلا أنه حصل على مدينة إربل المهمة عسكرياً.

٢- اتسعت شهرته كأمير ذي قوة مؤثِّرة في الصراع الدائر في المنطقة.

٣- خرج من تلك الحروب وقد تعرَّف على عائلة بني أيوب، مما سيكون له أثر كبير في تطور هذه العائلة، وازدياد نشاطها.

٤- تدهورت العلاقات بينه وبين الخلافة العباسية [٤].

---

(١) تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام ص ٩٣.
(٢) المصدر نفسه ص ٩٢.
(٣) الباهر ص ٤٥، ٤٦ تاريخ الزنكيين في الموصل ص ٩٣.
(٤) تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام ص ٩٣.

رابعاً: محاصرة الموصل:

أرسل المسترشد بالله إلى عماد الدين الإمام أبا الفتوح الإسفرايني، فأغلظ لـه في القول فأهانه عماد الدين وعاد إلى المسترشد بالله فسار إلى الموصل بثلاثين ألفا سنة ٥٢٧هـ [١]، وحاصرها في ٢٠ رمضان فنزل زنكي بالموصل نائبه نصير الدين وسار هو إلى سنجار ليقطع المسيرة عن عسكر الخليفة واستمر الحصار ثلاثة أشهر وعاد الخليفة إلى بغداد يوم عرفة وسبب هذا الحصار سير عماد الدين زنكي السابق إلى بغداد، واختلاف سلاطين السلاجقة، وإهانة زنكي لرسول الخليفة [٢]، لم يتمكن جيش الخليفة من اقتحامهم الموصل وكان عماد الدين في غضون ذلك يشن الهجمات عليه، حتى أضحى محاصراً، فتناقصت أقواته وساء وضعه القتالي[٣]. وعلى الرغم من هذا الموقف الصعب الذي وجد الخليفة فيه نفسه إلا أن عماد الدين زنكي لم يتمكن من النيل منه، وكان تراجع الخليفة العسكري الذي حصل بعد ذلك نتيجة لعوامل خارجية. إذ استغل السلطان مسعود فرصة انهماك الخليفة بحصار الموصل فتوجه إلى بغداد لتعزيز مركزه فيها، واستغاث بُدَبيس بن صدقة للاستيلاء عليها[٤] تلقى الخليفة هذه الأنباء المقلقة، وهو يحاصر الموصل، ففكَّ الحصار عنها وعاد إلى بغداد ليدافع عن عاصمته، فوصل إليها في العاشر من شهر ذي الحجة [٥]. وبذلك تخلص عماد الدين زنكي من الخطر الذي كاد يقضي على آماله [٦].

خامساً: التوتر بين عماد الدين والسلطان مسعود:

أجرى الخليفة المسترشد بالله العباسي مفاوضات ناجحة مع عماد الدين زنكي وعُقد الصلح بين الجانبين في مطلع عام ٥٢٨هـ أواخر عام ١١٣٣م وتبودلت الهدايا، وأرسل عماد الدين زنكي ابنه سيف الدين غازي إلى الخليفة ليؤكد طاعته وولاءه لـه [٧] واستنجد الخليفة بزنكي عام ٥٢٩هـ أثناء صراعه مع السلطان مسعود وكان عماد الدين زنكي آنذاك يحاصر دمشق، ففك الحصار عنها، وعقد صلحاً مع حكومتها حتى لا يُطعن من الخلف وعاد مسرعاً إلى بغداد لنجدة الخليفة إلا أنه وصل متأخراً، إذ انتصر السلطان مسعود على الخليفة المسترشد في المعركة التي دارت بينهما في العاشر من شهر رمضان ووقع في الأسر، وظل مأسوراً حتى منتصف ذي القعدة، حين هاجمه جماعة من الباطنية وقتلوه [٨] وقد فصلت في سيرة المسترشد بالله العباسي في كتابي عن دولة السلاجقة والمشروع الإسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي. هذا وقد أخذت البيعة بعد مقتل المسترشد بالله لابنه أبو جعفر منصور الملقب بالراشد بالله (٥٢٩هـ - ٥٣٠هـ) بموافقة السلطان

(١) زبدة حلب نقلاً عن الحروب الصليبية والأسرة الزنكية ص ٧٥.
(٢) الكامل في التاريخ نقلاً عن الحروب الصليبية ص ٧٥.
(٣) الكامل في التاريخ (٦٩٦/٨).
(٤) تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام ص ٩٤.
(٥) الكامل في التاريخ نقلاً عن تاريخ الزنكيين في الموصل ص ٩٤.
(٦) تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام ص ٩٤.
(٧) المنتظم (٣٤/١٠) الباهر ص ٤٧ - ٤٨.
(٨) عماد الدين زنكي ص ٥٧.

مسعود [١]، وهكذا ضاعت فرصة أخرى من يد عماد الدين زنكي للسيطرة على العراق [٢]، ونتيجة لهذه التطورات السياسية ازداد التوتر بين عماد الدين زنكي والسلطان وقد بلغ حداً دفع الثاني إلى تدبير مؤامرة لاغتيال الأول حتى يتخلص من خطره بشكل نهائي فاستدعاه إلى أصفهان، لكن دُبَيساً أخبره بنواياه وحذَّره من التوجه إلى بلاطه، فامتنع عن الذهاب، ولما علم السلطان بما فعله دُبيس قتله على الفور [٣]. وكان عماد الدين زنكي قد أحسن لصدقة فعندما وقع في يدي تاج الملوك حاكم دمشق طلب عماد الدين من أمير دمشق أن يسلمه دُبيساً وإن امتنع عن تسليمه سار إلى دمشق وحاصرها وخرّبها ونهب بلدها فأجاب تاج الملوك إلى ذلك، وأرسل عماد الدين سونج بن تاج الملوك والأمراء الذين معه، وأرسل تاج الملوك دُبيساً، فأيقن دُبيس بالهلاك ففعل زنكي معه خلاف ما ظن وأحسن إليه وحمل له الأقوات، والسلاح والدواب وسائر أمتعة الخزائن وقدمه على نفسه وفعل معه ما يفعل مع أكابر الملوك [٤]. ولما سمع عماد الدين زنكي بمقتل دبيس بن صدقة قال: فديناه بالمال وفدانا بالروح[٥] وذكر ابن كثير بأنه فداه بخمسين ألف دينار وما لبثت العلاقات أن تدهورت بين الخليفة الجديد وبين السلطان مسعود واجتمع لدى الراشد عدد من الأمراء المناهضين للسلطان، وجندوا له العمل على إسقاطه والمجيء بسلطان جديد يرتضونه [٦] وفي مستهل صفر عام ٥٣٠هـ وصل زنكي بغداد قادماً من الشام بعد أن استدعاه الراشد واتفق معه على إعلان الخطبة لألب أرسلان المقيم في الموصل [٧]، وانضم إلى الأمراء الذين كانوا قد حرضوا الخليفة على إعلان العصيان ضد السلطان مسعود [٨]، وجد الخليفة أن الفرصة قد سنحت للبدء بالعمل، فألغى الخطبة لمسعود وحولها لداود بن محمود، خلافاً لما تم الاتفاق عليه مع زنكي[٩].

وقام السلطان الجديد بتعيين شحنة له في العراق، ولم يمض على ذلك سوى وقت قصير حتى دبت الخلافات بين الراشد وسائر الأمراء بسبب المنافسات والأحقاد القديمة [١٠] واتفق المتحالفون على توجيه ضربتهم للسلطان مسعود في بلاد فارس نفسها، إلا أنهم ما إن قطعوا مسافة قصيرة حتى ورد خبر بتوجه مسعود على رأس قواته صوب بغداد، فارتأوا أن يعودوا إليها لاتخاذ الإجراءات الدفاعية اللازمة لصد الهجوم [١١] وما لبث السلطان مسعود أن فرض الحصار على بغداد، وجرت مناوشات ومعارك جانبية بين الطرفين لم تسفر عن نتيجة حاسمة وسعى الخليفة إلى إحلال الصلح

(١) المصدر نفسه ص ٥٧ تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام ص ٩٥.
(٢) تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام ص ٩٥.
(٣) المنتظم (٥٣/١٠) تاريخ الزنكيين ص ٩٥.
(٤) الكامل في التاريخ (٦٨٠/٨).
(٥) واقع التربية الإسلامية في عهد نور الدين ص ١٧.
(٦) عماد الدين زنكي ص ٥٨.
(٧) النجوم الزاهرة (٣٥٨/٥) عماد الدين زنكي ص ٥٨.
(٨) المنتظم (٥٥/١٠) عماد الدين زنكي ص ٥٨.
(٩) مفرج الكروب (٦٤/١) عماد الدين زنكي ص ٥٨.
(١٠) عماد الدين زنكي ص ٥٩.
(١١) المنتظم (٥٧/١٠) مفرج الكروب (٦٥/١).

وإنها المعارك دون جدوى وأخذت الأوضاع داخل بغداد تزداد سوءاً يوماً بعد يوم [١]، ونجح السلطان مسعود في دخول بغداد وخلعه عن سدة الخلافة وولىّ المقتفي لأمر الله مكانه في شهر ذي الحجة عام ٥٣٠هـ أيلول عام ١١٣٦م [٢]، وغادر الراشد بغداد متوجهاً إلى الموصل بصحبة عماد الدين زنكي، والجدير بالذكر أن الخطبة للمقتفي اقتصرت على بعض أنحاء العراق بينما استمرت مناطق الموصل والجزيرة وبلاد الشام تخطب للراشد الذي كان يتمتع بحماية عماد الدين زنكي [٣].

سادساً: مصالحة عماد الدين زنكي للسلطان مسعود:

لم يدم التحالف طويلاً بين عماد الدين زنكي والراشد فقد شعر كل منهما بضعف موقفه أمام موقف السلطان والخليفة الجديد لذلك أسرعا بإرسال الرسل للتوسط لديهما وإنهاء حالة الحرب [٤]، وأضحى عماد الدين زنكي على الرغم من ضعف موقفه القوة التي تتطلع إليها الأطراف المتنازعة لاستقطابها، وهكذا استمالة أعوان المقتفي إلى جانبهم، وكافأة الخليفة بأن أقطعه بعض أملاكه وزاد في ألقابه [٥]، واضطر تحت ضغط الأحداث السياسية والعسكرية إلى التخلي عن حليفه الراشد كانت التقلبات السياسية السريعة بعماد الدين زنكي تهدف إلى ضمان استمرار حكمه، وتحقيق وحدة الصف الإسلامي في الموصل والجزيرة والشام لتكوين جبهة إسلامية موحّدة تقف في وجه الصليبيين [٦]، وكان من الطبيعي أن تتحسن العلاقات بينه وبين السلطان مسعود الذي أرسل إليه في شهر ربيع الأول عام ٥٣٢هـ/ شهر تشرين الثاني عام ١١٣٧م التشريف الكامل والخلع [٧]، وأدرك عماد الدين زنكي خطورة الأوضاع في شمالي الشام بفعل تهديد الصليبيين لمدينة حلب التي كانت تعاني من الفوضى في ظل صراع على السلطة بعد وفاة حاكمها إيلغاري الأرتقي في شهر رمضان عام ٥١٦هـ/١١٢٢م، فأرسل قاضيه الشهرزوري ليشرح للسلطان هذا الوضع، ويطلب منه مساعدة عسكرية لإبعاد الصليبيين عن المنطقة [٨] ونجح الشهرزوري في مهمته، وتمكّن من إقناع السلطان بإمداده بقوة عسكرية إلا أن رسالة عاجلة وصلت إلى بغداد من عماد الدين زنكي، أفادت بأن الصليبيين رحلوا عن حلب، وأنه لم يعد بحاجة إلى المدد العسكري وتدليلاً على العلاقات الجيدة بين السلطنة السلجوقية والدولة الزنكية، فقد أرسل السلطان مسعود رسالة تهنئة إلى عماد الدين زنكي وهو على أبواب حمص بمناسبة انتصاره على الصليبيين وخلع عليه الخلع السلطانية، إلا أن هذه العلاقات تبدَّلت في عام ٥٣٨هـ/١١٤٣م حين حاول السلطان مسعود الذي خشي من طموحات عماد الدين زنكي واتساع رقعة إمارته، وتنامي قوته العسكرية، توجيه ضربة حاسمة له، معتقداً بأنه

(١) عماد الدين زنكي ص ٦٠.
(٢) مفرج الكروب (٦٥/١، ٦٦) تاريخ الزنكيين في الموصل ص ٩٥.
(٣) تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام ص ٩٦.
(٤) تاريخ الزنكيين في الموصل وفي بلاد الشام ص ٩٦.
(٥) الباهر نقلاً عن تاريخ الزنكيين في الموصل ص ٩٦.
(٦) تاريخ الزنكيين في الموصل ص ٩٦.
(٧) المصدر نفسه ص ٩٦.
(٨) الكامل في التاريخ نقلاً عن تاريخ الزنكيين ص ٩٦.

وراء القلاقل التي كان يقوم بها أمراء الأطراف ضد حكمه في العراق وأن هؤلاء لا يلتزمون بسياسته والراجح أن عماد الدين زنكي هدف إلى إلهاء السلطان لمنعه من مضايقته وبذلك يستطيع وهو مطمئن أن يوطد نفوذه في الموصل ويوسع رقعة أملاكه على حساب الأمراء المسلمين المجاورين، ويحارب الصليبيين [١]. ولما علم بنوايا السلطان أرسل إليه يستعطفه ويستميله وفعلاً جرت مفاوضات بين الطرفين أدّت إلى إعادة الوفاق بينهما وكان من أهم بنود الصلح أن:

- يدفع عماد الدين للسلطان مبلغ مائة ألف دينار.
- يتنازل له عن بعض إقطاعاته.
- يحضر شخصياً إلى بلاطه لإعلان الطاعة [٢].
- والواضح أن تراجع السلطان عن موقفه العدائي تجاهه يعود إلى أمرين:

الأول: أنه أدرك خطورة الوضع في الجزيرة وشمالي الشام حيث غدا الصليبيون يشكلون خطراً مباشراً على المنطقة وأن عماد الدين زنكي هو القوة الوحيدة التي يمكن أن تقف في وجههم، وترغمهم على التراجع.

الثاني: أنه جوبه بمعارضة شديدة من رجال دولته ومواطنيه من أجل إبقاء إمارة الموصل كحاجز قوي متماسك أمام أطماع الصليبيين، وقد أوضحت هذه المعارضة أن عماد الدين زنكي هو الأمير الوحيد في المنطقة الجدير بالتصدي لتلك الأطماع وأن القضاء عليه يعني فتح الطريق أمام الصليبيين في العراق [٣] بعد إقرار الصلح، أرسل عماد الدين زنكي عشرين ألف دينار كدفعة أولى تنفيذاً للبند الأول من الاتفاق، ثم تنازل السلطان عن المبلغ المتبقي بهدف استقطابه وكسب وده حتى لا ينضم إلى أمراء الأطراف الذين خرجوا عن حكمه، كما تغاضى عن تنفيذ البند الخاص بحضوره إلى البلاط السلجوقي، وعذره بسبب انهماكه في جهاد الصليبيين إلا أنه اشترط عليه فتح الرها [٤]. وقامت علاقات عماد الدين زنكي مع الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله على الود والتعاطف، واستمرت الصلات المتبادلة بينهما، وازدادت هذه العلاقات وثوقاً بعد أن فتح عماد الدين زنكي الرها في عام (٥٣٩هـ/١١٤٤م) حيث منحه عدداً من الألقاب، كالأمير الكبير، العادل، المؤيد، المظفر، المنصور[٥]. وهكذا يتضح أن عماد الدين زنكي اتبع سياسة مستقلة إلى حد كبير تجاه علاقته بكل من الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي، وأضحى يشكل قوة مؤثرة ضاغطة في الأحداث التي شهدها العراق مستغلاً علاقات الخلافة المتقلبة بالسلطنة السلجوقية لتحسين وضعه السياسي غير أن هذه السياسة لم تؤدَّ إلى استقرار وضعه بل على العكس هدَّدت حكمه بين الفينة والفينة، ولولا نجاحه في مقاومة الصليبيين وإقامة إمارة حاجزة في الموصل بينهم وبين العراق لكان من المحتمل أن تتعرض

(١) تاريخ الزنكيين ص ٩٧.
(٢) المنتظم (١٠/١٠٨) الباهر ص ٦٥.
(٣) تاريخ الزنكيين في الموصل ص ٩٨.
(٤) الباهر ص ٦٥ تاريخ الزنكيين في الموصل ص ٩٨.
(٥) تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام ص ٩٨.

إمارته لخضات سياسية شديدة وخطيرة، ربما أودت بجهوده في بناء دولـة [١].

* * *

(١) تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام ص ٩٨.